السيـــاق القرآنـــي والدلالـــة المعجميـــة

د. ماجدة صلاح حسن
قسم اللغة العربية – كلية المعلمين – الزاوية
جامعة السابع من أبريل

Copy from bulletin.7aprilu.edu.ly

السياق القرآني وأثره في الدلالة المعجمية:

اشتغل المسلمون منذ نزول القرآن الكريم على معرفة سـر إعجـازه واستخراج مكنوناته، وفي استخدامه للألفاظ يكمن أحد وجوه إعجازه ، وقبـل الخوض في صلب الموضوع ، من الأهمية بمكان تسليط الضوء على مفهـوم الدلالة والسياق.

الدلالـــة:

من دلّه على الطريق يدلّه بالضم دلالـة بفـتح الـدال وكـسرها[1]، واعترض بعضهم على دِلالة بكسر الدال، موضحا أنها على وزن[فِعالة] مـن أوزان المصادر الدالة على الحرفة، أو المهنة، والصحيح عندهم بالفتح فنقول: دلالة[2]، وهذا أقرب إلى الصواب.

بين السعران أن علم الدلالة أو دراسة المعنى "هو غايـة الدراسـات الصوتية، والصرفية، والنحوية وقمتها"[3]، وهذا يعني أن الدلالة هـي دراسـة المعنى وما تدل عليه اللفظة أو التركيب.

السيـ ـاق:

تنبه العلماء قديما إلى أهمية السياق في تفسير الآيات القرآنية ومفرداتها حين أشاروا إلى قاعدة مهمة وهي تفسير القرآن بالقرآن[4]، وهذه القاعدة نجدها في عصرنا الحاضر بما يعرف بـ[المنهج السياقي] الذي جعل للسياق الـدور الحاسم في فهم النصوص وتحديد معاني الألفاظ ، وضـبط دلالاتهـا، إذ بـين العلماء المعاصرون أن تحديد معنى الكلمة يرجع إلى علاقتهـا مـع الكلمـات الأخرى، وهذا ما نجده لدى فيرث زعيم المدرسة السياقية الذي صـرح بـأن المعنى لا يتضح معناه إلاّ من خلال "تسييق الوحدة اللغوية"[5]، بمعنى: وضعها في سياقات مختلفة كي يتحدد معناها وفق السياقات التي ترد فيها.

والسياق القرآني: هو "جزء من السياق بعمومه في معنـاه العـام"[6]، وهناك من ذكر أنواعا متعددة من السياقات، منها: السياق المصحفي، وسـياق التنزيل، وسياق الموضوع ويقصد به دراسة الآية أو الآيات في علاقتها بالآيات الأخرى التي تناقش نفس الموضوع والسياق التاريخي حسب التسلسل الزمنـي التاريخي، والسياق اللغوي وهو" دراسة الآيات بمراعـاة المـدلولات اللغويـة للكلمات والتركيبات داخل البنية الثقافية". فالسياق القرآني: هو علاقة اللفظ مع ما قبله وما بعده من الآيات وما يكسبه من معنى في هذا الموضع أو في موضع آخر، وسبب النزول والجو العام الذي نزلت فيه الآية فقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنـكَ أَنْتَ العزيز الكريم﴾ معناها الظاهر لا يعطي المعنى الذي رمى إليـه الـنص القرآني في هذه الآية، إذ لابد من النظر إلى سبب نزولها، لأنها تحمل معنـى السخرية والتهكم، وهذا لا يتضح إلا بمعرفة الظروف المحيطة بالنص ولمـن وجه الأمر الذي خرج عن معناه إلى السخرية.

وهناك سياق أصغر أو سياق خاص للنص القرآني، ونقصد به موضع اللفظ في الآية وصلته بما قبله وما بعده من الألفاظ والآيـات، إذ مـن خـلال

Copy from bulletin.zaprfu.edu.ly

السياق يمكن تحديد دلالة اللفظ ومعناه، وسياق أكبر ويشمل القرآن الكريم كله، فكما ذكر السلف" من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولا من القرآن فما أجمل منه في موضع فُسر في موضع آخر"[7] ، ويمكن أيـضا تفـسير الآيـة تبعـا للدلالات، أو المستويات المختلفة للفظة الواحدة، فهي تُفسر ما قبلها وما بعدها، والسياق يجلي معنى اللفظة ويساعد على فهم مدلولها، فكلاهما لا يمكن تجزئته.

ولكل كلمة مستويات ودلالات هي: المـستوى النحـوي، المـستوى الصرفي، المستوى الصوتي[8]، والمعجمي، وزاد عليها إحسان خضر المستوى الدلالي وقصد به" دراسة معاني الألفاظ في نشوئها وتطورها وتقلبهـا خـلال العصور"[9].

وقد وظّف النص القرآني اللفظ توظيفا اكسبه صفة الإعجاز، إذ نجد أن لكل لفظ قرآني موضعه الذي يضيف إلى السياق معنى وتناغما لا يمكن لغيره أن يحل محله عدا عما يوحيه اللفظ من معنى عبر مستواه الصوتي أو النحوي أو الصرفي.

وهذا البحث يبحث في المفردة القرآنية من حيـث معناهـا ودلالاتهـا المختلفة كلفظة مفردة، أو من خلال السياق، وكل مستوى من هذه المـستويات يحتاج إلى بحث مستقل لما تمتاز به المفردة القرآنية من دقة في اختيار اللفظة بوزنها وصورتها ورسمها إلى غير ذلك، وسنكتفي في هـذا البحـث بتـسليط الضوء على اللفظة القرآنية ودلالاتها المعجمية المتنوعة تبعا للـسياق ، ودقـة اختيار المفردة وأثرها في المعنى مما يبعث الدهشة في نفس قارئ القرآن .

الدلالة المعجمية للفظة القرآنية(المستوى الدلالي):

1- تعدد المعاني للفظ القرآني الواحد تبعا للسياق:

إن الذي يحدد معنى أو دلالة اللفظة القرآنية السياق، وقد تنبه كثير من العلماء إلى أهميته، إذ نجد ابن القيم الجوزية قد بين أهمية السياق في توجيـه

Copy from bulletin.zu.edu.ly

دلالات العلامات اللغوية في النص القرآني فقال: "يرشد إلى تبيـين المجمـل وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخـصيص العـام وتقييـد المطلق، وتنوع الدلالة.."(10)، فهناك الكثير من الألفاظ القرآنيـة التـي يحـدد دلالتها السياق القرآني، فمن هذه الألفاظ وإن تناول بعـضا منهـا عـدد مـن الباحثين:

*** الضرب- أمة- الرحمة:**

لفظة [الضرب] وردت في سياقات مختلفة، وفي كل سياق دلت علـى معنى مختلف عن الآخر، من ذلك:

وردت بمعنى [السفر] كما في قوله تعالى:﴿يا أيهـا الّـذين آمنـواْ إِذَا ضربتُم فِي سبِيلِ اللّهِ فَتَبينُواْ﴾ (النساء94) جاءت بمعنى السير للجهاد في سبيل الله ، أي: سافرتم، وقوله: ﴿يأَيها الَّذِين آمنُواْ لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِين كَفَـرواْ وقَـالُواْ لإِخْوانِهِم إِذَا ضربواْ فِي الأَرضِ أَو كَانُواْ غُزى لَّو كَانُواْ عِنْدنَا ما مـاتُواْ ومـا قُتِلُواْ لِيجعلَ اللّه ذَلِك حسرةً فِي قُلُوبِهِم واللّه يحيِـي ويمِيتُ واللّه بِما تَعملُـون بصِير﴾ (آل عمران156).

وبمعنى القتل والقطع: قال تعالى: ﴿إِذْ يوحِي ربك إِلَى الْملآئِكَةِ أَنِّـي معكُم فَثَبتُواْ الَّذِين آمنُواْ سأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِين كَفَرواْ الرعب فَاضـرِبواْ فَـوقَ الأَعنَاقِ واضرِبواْ مِنْهم كُلَّ بنَانٍ﴾ (الأنفـال12)، أي: قطـع الأعنـاق وقتـل المشركين، وخص الأعناق؛ لأن ضربها إتلاف لأجساد المـشركين، وضـرب البنان يبطل صلاحية المضروب للقتال(11).

- وجاءت بمعنى الشبه وإيقاع شيء على شيء:

قال تعالى: ﴿ضرب لَكُم مثَلاً من أَنفُسِكُم هل لَّكُم من ما ملَكَتْ أَيمانُكُم من شُركَاء فِي ما رزَقْنَاكُم فَأَنتُم فِيهِ سواء تَخَافُونَهم كَخِيفَتِكُم أَنفُسكُم كَذَلِك نُفَصلُ الْآياتِ لِقَومٍ يعقِلُون﴾ (الروم28)، فالضرب هنا إيقاع الشيء على الشيء، فهـو

Copy from bulletin.zu.edu.ly

يعنى إيقاع المثل على الممثل له وبين وجه الشبه، أو المصير المشترك وتـأثر به الممثل له فترك أثرا في نفسه وفي سلوكه، فهو أخذ العبـرة بهـذا المثـل والاستفادة منه.

- وبمعنى [الجعل]:

نحو قوله تعالى: ﴿ولقد أوحينآ إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لاّ تخافُ دركاً ولا تَخْشَى﴾ (النحل75)، أي: اجعل لهـم، من قولهم: ضرب له في ماله سهما، وضرب اللبن: عمله[12].

- وحملت معنى الإسدال:

نحو قوله تعالى: ﴿وليضربن بخُمرهن على جيوبهن... ولا يـضربن بأرجلهن﴾ (النور31)، أي: يسدلن ويضعن الغطـاء أو يـسترن بـه الـرأس والصدر.

- لفظة[أمة] وردت في مواضع و سياقات قرآنية كثيرة تعددت تبعا لاختلاف السياقات ودلالاتها، والذي يحدد الدلالة ملاحظة ما قبل اللفظة وما بعـدها، إذ أن السياق كفيل بتوجيه المفسر إلى المقصود، من هذه الدلالات:ـ

- أنها وردت بمعنى[الإمام]:

قال تعالى: ﴿إن إبراهيم كان أُمةً قانتاً لِلّهِ حنيفاً ولم يك من الْمشْرِكِين﴾ (النحل120) أي:كان إماما ومعلما يعلم الناس الدين، ويرشدهم إلى الخير[13].

- وجاءت بمعنى[فرقة وطائفة]:

نحو قوله تعالى: ﴿ومن قوم موسى أُمةٌ يهدون بالْحقّ وبـه يعـدلُون﴾ (الأعراف159)، وقوم موسى هم أتباع دينه من قبل بعثة الرسول -$- فمـن بقي متمسكا بدين موسى بعد بلوغ دعوة الإسلام إليه فليس من قـوم موسـى، ولكنه من بني إسرائيل، أو من اليهود، وجاءت بمعنى طائفة أو جماعة كثيـرة

Copy from bulletin. /aprliu.edu.ly

متفقة في عمل يجمعها كما ذكر ابن عاشور[14]، فهذه الطائفة يهـدون النـاس للحق وللدين الإلهي ويحكمون به.

- وحملت معنى[المدة] و الأجل المعدود:

نحو قوله تعالى في سورة هود: ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾، أي: إذا أخّرنا عن هؤلاء المشركين العذاب إلى أجل معـدود، أو أمد محصور ليقولن تكذيبا لما يؤخّره.

- ووردت بمعنى [الملة والدين]:

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ (الزخرف23)، والمعنى أنهم ساروا على دين آبائهم .

- وبمعنى[الجماعة]:

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ (القصص23) أي: جماعة من الناس أو الرعاة يسقون أنعامهم، وهذه اللفظة ما كان للمفسر أن يعرف معانيها المتعددة دون الرجوع إلى السياق الـذي يبـين دلالاتها.

- اللفظة الثالثة هي [رحمة]:

إذ لها دلالات محددة في المعاجم اللغوية، ولكنها في الموسوعة القرآنية تحتمل دلالات متنوعة وكثيرة لا نجدها في معاجم البشر، فمن دلالاتها:

الإسلام: نحو قوله تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (آل عمران74) .

- وجاءت بمعنى [النبوة]:

قال تعالى: ﴿أم عِندهم خزَآئِن رحمةِ ربك الْعزيـز الْوهـابِ﴾ (ص9)
أي: ليست خزائن فضل الله تعالى عندهم فيتصدوا لحرمان من يـشاءون مـن مواهب الخير، فإن المواهب من الله يصيب بها من يشاء، فهو يختار للنبوة من يصطفيه وليس الاختيار لهم، وقدم الظرف للاهتمام؛ لأنه مناط الإنكار، كقولـه تعالى من نفس المعنى: ﴿أهم يقْسِمون رحمةَ ربك﴾ (الزخرف32)، وعدل عن اسم الجلالة إلى وصف؛ لأن يناسب غرض الكلام إيماء إلى أن تـشريفه إيـاه بالنبوة من آثار صفة الربوبية له؛ لأن وصف الرب مؤذن بالعناية والإبلاغ إلى الكمال.

- وجاءت بمعنى[العافية]:

قال تعالى: ﴿إن أرادنِي اللّه بِضر هلْ هن كاشِفَاتُ ضـرهِ أو أرادنِـي بِرحمةٍ هلْ هن ممسِكاتُ رحمتِهِ﴾ (الزمر38) فالسياق الـذي قبلهـا يبـين أن الرحمة قُصد بها العافية والصحة؛ لأن ما قبلها" قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره"،أي: إذا أراد أن يضرني فهـل أصنامكم تزيل هذا الضر.

- وبمعنى [السعة]:

نحو قوله تعالى: ﴿فَمن عفِي له مِن أخِيهِ شيء فَاتّباع بِالْمعروفِ وأَداء إِليهِ بِإحسانٍ﴾ (البقرة178)، أي: الحكم المذكور من العفو والدية توسيع علـيكم من الله؛ لأن أهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة، وحرم العفو وأخذ الديـة، وعلى أهل الإنجيل العفو، وحرم الدية والقصاص، وخُيرت هـذه الأمـة بـين ثلاث: القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا[15].

- ووردت بمعنى[المطر]:

قال تعالى: ﴿وهو الّذِي أرسلَ الرياح بشْرى بين يدي رحمتِهِ وأَنزلْنَـا مِن السماءِ ماء طَهوراً﴾ (الفرقان48). أي: أرسل الرياح المحملة بالمطر الذي

Copy from bulletin.zu.edu.ly

هو رحمة لإحياء الخلائق، ومنه قوله تعالى: ﴿وهو الَّذِي يرسِلُ الرياح بـشْرى بين يدي رحمتِهِ حتّى إِذَا أَقَلَّتْ سحاباً ثِقَالاً سقْنَاه لِبلَدٍ ميتٍ فَأَنْزلْنَـا بِـهِ الْمـآء فَأَخْرجنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمراتِ﴾ (الأعراف57)، عطفت الجملة الأولى علـى مـا قبلها للمناسبة بينهما بأنه لما ذكر قرب رحمته من المحسنين ذكر بعـضا مـن رحمته العامة على عباده ومنها المطر.

- وبمعنى[الرزق]:

نحو قوله تعالى: ﴿قل لّو أَنْتُم تَملِكُون خَزآئِن رحمةِ ربي إِذاً لأَمـسكْتُم خَشْيةَ الإِنْفَاقِ وكَان الإِنْسان قَتُوراً﴾ (الإسراء100)، أي: لـو أنكـم تملكـون التصرف في خزائن الله لأمسكتم مخافة الفقر.

- ووردت بمعنى[الجنة]:

قال تعالى: ﴿وأَما الَّذِين ابيضتْ وجوههم فَفِي رحمةِ اللَّـهِ هـم فِيهـا خَالِدون﴾ آل عمران107) أي: في الجنة خالدون لا يموتون.

- وبمعنى[الإيمان]:

قال تعالى: ﴿قَالَ يقَومِ أَرأَيتُم إِن كُنتُ علَى بينَةٍ من ربي وآتَانِي رحمةً من عِندِهِ فَعميتْ عليكُم أَنُلْزِمكُموها وأَنتُم لَها كَـارِهون﴾ (هـود28)، وقـصد بالرحمة هنا الإيمان.

- وبمعنى: [العصمة]:

قال تعالى: ﴿قَالَ سآوِي إِلَى جبلٍ يعصِمنِي مِن الْمآءِ قَـالَ لا عاصِـم الْيوم مِن أَمرِ اللَّهِ إِلاَّ من رحِم وحالَ بينَهما الْمـوج فَكَـان مِـن الْمغْـرقِين﴾ (هود43) أي: ليس شيء يعصم اليوم من أمره تعالى إلا من عصمه الله.

- وجاءت بمعنى[القرآن]:

نحو قوله تعالى: ﴿يأَيها النَّاس قَد جآءتْكُم موعِظَةٌ من ربكُم وشِفَآء لِّما فِي الصدورِ وهدى ورحمةٌ لِّلْمؤْمِنِين قُلْ بِفَضلِ اللَّهِ وبِرحمتِهِ فَبِذَلِك فَلْيفْرحـواْ

هو خَير مما يجمعون﴾ (يونس57- 58)، يقول الحق جل جلاله ممتنـا علـى خلقه بالقرآن العظيم الذي نزله على الرسول الكريم الذي أبعـد النـاس عـن الفواحش والشك والرجس ويحصل به الهدى والرحمة من الله، ثم قال بهذا الذي جاءهم من الله(وبرحمته) وهو القرآن الكريم من الهدى ودين الحق فليفرحوا.

- وبمعنى المغفرة:

قال تعالى: ﴿قُل لِّمن ما فِي السماواتِ والأرضِ قُل للّهِ كتَب علَى نَفْسِهِ الرحمةَ﴾ (الأنعام12)

ودلت على معنى النصر في قوله تعالى: ﴿قُلْ من ذَا الَّذِي يعصِمكُم من اللّهِ إِن أَراد بِكُم سوءاً أَو أَراد بِكُم رحمةً ولاَ يجِدون لَهم من دون اللّهِ ولِياً ولاَ نَصِيراً﴾ (الأحزاب17).

2- اختلاف اللفظ القرآني المفرد في السياق:

نقصد به تجلية اللفظ المفرد الذي يكون مغمورا في سياقه الأصـيل، ورغم وجود دراسات قديمة وحديثة في اللفظ القرآني بجانبيه المادي والمعنوي وبخصائصه ومجالاته الدلالية، وأنماطه التركيبية فإن أحدا لم يستطع الوصول إلى فك إعجاز هذا اللفظ القرآني، إذ انصب اهتمام الكثير من العلمـاء علـى دراسة اللفظ وتحليله من خلال المعنى اللغوي المعجمي الذي يدرس معنى اللفظ من خارج سياق المعنى كظاهرة لفظية دون البحث عن تعليلهـا، ولـم يـدرك البعض أن القرآن الكريم استخدم ألفاظه وتراكيبه استخداما خرج في كثير مـن الأحيان عن معاني الألفاظ المعتادة الجارية في الحديث السوقي والتي يستخدمها العرب في ألفاظهم وتراكيبهم، ولو كان الأمر كذلك لما كان معجزا، فللقـرآن طريقته في تأليف ألفاظه وربطها وتنظيمها، فإذا غيرنا هذا الترتيـب المحكـم وهذا النظام الدقيق تغير المعنى ، فمن الواجب أن يكون للقرآن نظريات وقواعد تتعدى القواعد العامة التي يقيس عليها العلماء اللغة العامة؛ لأنه لا يضاهيه كلام

Copy from bulletin 7apriluedu.ly

بشر مهما وصلت درجة بلاغته، لذلك لا يمكننا القول إن الألفاظ القرآنية قوالب للمعاني، فالقوالب جامدة وألفاظ القرآن الكريم في حركة وتجدد مستمرين تتجاوب وتتماشى مع حركة الكون، وهذا ما منح القرآن صلاحيته لكل زمان ومكان.

إن المتدبر في آيات الذكر الحكيم يلاحظ تنوعا في استخدام القرآن للألفاظ، واختلاف معناها تبعا للسياق وإن اتفقت دلالتها في المعاجم،وقد ألمح الجاحظ إلى خصوصية دلالة اللفظة القرآنية بقوله: "وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها وغيرها أحق بذلك منها. ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب، أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر، والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حالة القدرة والسلامة، وكذلك ذكر المطر بأنك لا تجد في القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام. والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وذكر الغيث"(16).

ولنأخذ لفظتي:

* مطر- غيث:

دلالتهما واحدة وهي الماء النازل من السماء، ولكن النص القرآني لم يكتف بهذا المعنى، إذ نجد لهما دلالات خاصة بالألفاظ القرآنية من خلال السياق الذي وردت فيه كل لفظة، قال تعالى: ﴿وهو الَّذِي ينَزلُ الْغَيثَ مِن بعدِ ما قَنَطُواْ وينشُر رحمتَه وهو الْولي الْحمِيد﴾ (الشورى28) جاءت لفظة [غيث] في موضع الرحمة، أي: ينزل ماء من السماء رحمة منه إلى عباده.

وجاءت لفظة [مطر] في موضع العقاب والعذاب، قال تعالى: ﴿وأَمطَرنَا علَيهِم مطَراً فَانْظُر كَيفَ كَان عاقِبةُ الْمجرِمِين﴾ (الأعراف84)، أي: عذاب، فالقرآن العظيم لم يستخدم لفظة غيث في موضع الرحمة فقط دون سبب أو من باب التفريق بين ما ينزل للرحمة وما ينزل للعذاب؛ ولكن ما

Copy from bulletin.zu.edu.ly

توجيه لفظة[غيث] من دلالة عن المساعدة والغوث والنصرة من قولنا: استغثت، أي: طلبت المساعدة فأغاثني لذلك استعمل [غيث] من الإغاثـة فـي موضـع الرحمة.

أما لفظة[مطر] فلا توحي بهذه الدلالة، وهذا يبين ضـرورة الاهتمـام بالمنظومة القرآنية والتعامل معها بأسلوب راق يليق بهذا الكتـاب المعجـز. "وهكذا نرى أن الرجوع إلى المعاجم القديمة لا يجدي كثيرا في بحـث دلالـة الألفاظ وتطور الدلالة[17].

- لفظة: ترف:

وردت مادة (ترف) في ثمانية مواضع[18] في سياق العذاب والكفـر، ولم ترد في سياق آخر، وذلك نحو قوله تعالى: {واتبع الذِين ظَلَموا ما أُتْرِفُـوا فِيهِ وكانُوا مجرِمِين﴾ (هود116). والدلالة المعجمية لمادة ترف هـي التـنعم والدلال والبطر وسعة العيش وملاذ الدنيا وشهواتها[19]، ولا تعني عذابا أو كفرا في الدلالة المعجمية. وهذا يعني أن مادة (ترف) غادرت دلالتها المعجمية إلـى دلالة خاصة في القرآن الكريم وهي العذاب أو الكفر، ولعل انغماس من وقـع عليه العذاب بملذات الدنيا وشهواتها وبطر معيشتهم هو الذي سوغ اختـصاص مادة (ترف) بسياق العذاب أو الكفر.

وما يعزز اختصاص مادة ترف بالعذاب والكفر مجيء ألفاظ الإجـرام والفسق والكفر والكذب والعذاب في سياق الآيات التي لازمتها مادة (تـرف). كما أن تعدد الصيغ الاشتقاقية في المواضع الثمانية يدل علـى ملازمـة مـادة (ترف) لسياق العذاب، فقد وردت فعلا (أترفوا، أترفتم، أترفناهم)، واسم فاعـل (مترفيها، مترفيهم، مترفوها).

وفي السياق ذاته نهى القرآن الكريم عن البطر في قوله تعـالى: ﴿ولاَ تَكُونُواْ كَالَّذِين خَرجواْ مِن دِيارِهِم بطَراً ورِئَاء النّاسِ﴾ (الأنفال47). ومجـيء

Copy from bulletin.aprilu.edu.ly

الفعل في سياق العذاب في قوله تعالى:﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً وكنّا نحن الوارثين﴾ (القصص58) والدلالة المعجمية للبطر هي النشاط والتبختر والدهش والحيرة، والأشر وهو شدة المرح، ولكن أهل اللغة اعتمدوا على السياق القرآني فقالوا: إن البطر هو الطغيان في النعمة، أو هو دهش يعتري الإنسان عن سوء إهمال النعمة وقلة القيام بحقها وصرفها إلى غير وجهها [20] .

والسؤال الذي يطرح نفسه، هل في المنظومة القرآنية ترادف؟

وحتى نتمكن من الجواب يجدر بنا الوقوف على بعض النماذج لألفاظ قرآنية مختلفة في مواضع متشابهة، من هذه الألفاظ:

* رجعناك- رددناه:

وردت هاتان اللفظتان في قصة سيدنا موسى -عليه السلام- وفي موضعين متشابهين، قال تعالى: ﴿إذ أوحينآ إلى أمك ما يوحى،أن اقذفيه في التّابوت.... فرجعنَاك إلى أمك كي تقر عينُها ولا تحزن﴾ (طه38- 40)، وجاء في سورة القصص قوله تعالى: ﴿فرددنَاه إلى أمه كي تقر عينُها ولا تحزن ولتعلم أن وعد اللّه حقّ ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ (13).

اختلفت اللفظتان بما يناسب السياق، ففي سورة طه خطاب من الله إلى موسى ـ عليه السلام ـ لبيان نعم الله ـ سبحانه ـ عليه، وقد جاء السياق خطابا مباشرا لسيدنا موسى، ولم يرد في هذه الآيات وعد الله ـ عز وجل ـ برد لأمه فقال تعالى: "فرجعناك"، وفي سورة القصص جاءت القصة أكثر تفصيلا، ولم تكن خطابا لموسى -عليه السلام-، فقال تعالى: ﴿إنّا رآدوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ ثم قال: ﴿فرددنَاه إلى أمه كي تقر عينُها﴾ فناسب اللفظ السياق الذي ورد فيه من ذكر [رادوه]، في حسن لم يذكر في سورة طه ذلك، وهناك سبب أخر لورود لفظ[رددناه] لما ذكر سبحانه المراضع وعدم قبول

Copy from bulletin.7april.edu.ly

موسى لهن ذكر لفظ [رددناه]؛ لأنها تعنى رد عليه الشيء إذا لم يقبلـه، فعـدم قبوله المراضع كان سببا في عودته لأمه وهذا ما قدره الله وكان.

* انفجرت- انبجست:

ومن اختلاف اللفظ تبعا للسياق ما ورد في قصة موسى -عليه السلام- أيضا، قال تعالى: ﴿وَأَوحينَآ إِلَى موسى إِذِ استَسقَاه قَومه أَن اضـرب بعـصاك الْحجر فَانبجستْ مِنْه اثْنَتَا عشْرةَ عيناً﴾ (الأعراف160)، وفي سورة البقرة قال تعالى: ﴿وإِذِ استَسقَى موسى لِقَومِهِ فَقُلْنَا اضرب بعصاك الْحجر فَانفَجرتْ مِنْـه اثْنَتَا عشْرةَ عيناً﴾ (60) ، ذكر بعض المفسرين والعلماء أن التنوع في الألفـاظ والأساليب، وسرد القصة الواحدة بطرق مختلفة من باب التفنن، وهذا صـحيح ولكنه لا يعد السبب الأساسي، إذ لا بد من حكمة أو غرض لورود واخـتلاف الألفاظ، وربما يرجع الغرض إلى السياق، ففي سورة البقرة ذكـر أن موسـى استسقى لقومه بعد أن طلبوا منه ذلك، فجاء بلفظ [انفجرت] التي توحي بتـدفق الماء بقوة إذ أن الانفجار أبلغ في كثرة الماء فناسب سياق ذكر النعم التعبير به، وفي آية الأعراف طلب قوم موسى منه ذلك فأوحى إليه ربه بضرب الحجـر، والإيحاء أقل من الأمر؛ لأنه أمر غير مباشر، فهو أقل من الأمر المباشر فجاء بلفظ [انبجست] التي توحي بخروج الماء بهدوء وبدرجة أقل، وربمـا جـاء بلفظ [انبجست] ليدل على خروج الماء أولا بكميات قليلة وبهدوء ثم ازداد والله أعلم.

كما نلاحظ اختلاف لفظين في آيتين متشابهتين كلفظتي:

* تقربوها- تعتدوها:

قال تعالى: ﴿تِلْك حدود اللّهِ فَلاَ تَقْربوها﴾ (البقرة187)، وقال في آيـة مشابهة: ﴿الطَّلاَقُ مرتَانِ فَإِمساك بِمعروفٍ أَو تَسرِيح بِإِحسانٍ ولاَ يحِلُّ لَكُم أَن تَأْخُذُواْ مِمآ آتَيتُموهن شَيئاً إِلاَّ أَن يخَافَا أَلاَّ يقِيما حدود اللّهِ فَإِن خِفْـتُم أَلاَّ يقِيمـا

حدود اللَّهِ فَلاَ جنَاح علَيهما فِيما افْتَدتْ بِهِ تِلْـك حـدود اللَّـهِ فَـلا تَعتَـدوها﴾ (البقرة229)، إذ جاءت الأولى على أغلظ الوعيـد بعـد قولـه تعـالى: ﴿ولاَ تُباشِروهن وأَنْتُم عاكِفُون فِي الْمساجِدِ﴾ نهى الله -سبحانه وتعالى- عن مواقعة النساء في حالة الاعتكاف في المساجد وصار فيه تحذير من مقدمات المباشـرة ودواعيها فاقتضى من المبالغة ما لم يقتضه قوله تعالى: ﴿فَلاَ جنَاح علَيهما فِيما افْتَدتْ بِهِ تِلْك حدود اللَّهِ فَلاَ تَعتَدوها﴾ أي: لا تتجاوزوها بمعنـى: إذا المـرأة افتدت لمهرها وخالعت زوجها فليس عليها إثم، وهذه حـدود نهـي التعـدي" والحدود ضربان حد هو منع من ارتكاب محظور، وحد هو فاصل بين الحلال والحرام، فالأول ينهى عن مقاربته والثاني ينهى عن مجاوزتـه"[21]، فـاختلاف اللفظان تبعا لاختلاف السياق وما ورد فيه من أوامر ونواه.

ويمكننا القول إنه لا ترادف في ألفاظ القرآن الكريم؛ لأن كل لفظ وإن كان مرادفا للفظ آخر في كلام البشر فهو مختلف من جهة المعنى والدلالة فـي القرآن العظيم تبعا لاختلاف موضعه الذي سيق فيه، فلفظتا الإعطاء والإيتـاء استعملتا في النص القرآني في موضعين متباينين حسب السياق؛ لتـؤدي كـل واحدة دلالة إضافية على المعنى المتعارف عليه، وتمنح المعنى العام دقة فـي التعبير ،إذ جاء الإيتاء وهو أقوى من الإعطاء فيما يتعلق بالموضع الذي يتغير ويتكرر إلى الأحسن، قال تعالى: ﴿ولَقَد آتَينَاك سـبعاً مـن الْمثَـانِي والْقُـرآن الْعظِيم﴾ (الحجر87)، وقال: ﴿إِنَّا أَعطَينَاك الْكَوثَر﴾ (الكوثر) لأن الفعل الذي له مطاوع أضعف في إثبات مفعوله من الفعل الذي لا مطاوع له؛ لأن فعل الفاعل موقوفا على قبول في المحل لولاه ما ثبت المفعول، فهي أفعال إذا صدرت من الفاعل ثبت لها المفعول في المحل والفاعل مستقل بالأفعال التي لا مطاوع لها، فاستعمل لفظ [أعطيناك] ؛ لأن حلوله في هذا الموقف مؤقت، وهو مرتحل عنه إلى منازل العليا في الجنة، فعبر بالإعطاء.

Copy from bulletin.aprilu.edu.ly

الهوامــش:

1) محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، رتبه: محمود خاطر، دار المعارف بمصر القاهرة، مادة دال، 209.
2) ينظر: محمد سعيد، علي مزيان، في اللسانيات الأصوات والبنية والتركيب والدلالة، دار شموع الثقافة، ط1، 2006، 125.
3) محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1999، 261.
4) بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تحق: محمد أبو الفضل دار الجيل، بيروت، 1988، 2/ 175.
5) أحمد مختار عمر، علم الدلالة، مكتبة العروبة للنشر، 1982، 68.
6) محمد ربيعة، مفهوم السياق القرآني ومكوناته، 2007، 19.
7) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، 2/ 225.
8) ينظر: إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، 48.
9) إحسان خضر الديك، دراسات في اللغة والأدب، ط2، دار المستقبل، عمان، 1996، ص9.
10) ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، دار الكتب العربية، بيروت، 4: 9- 10.
11) ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، الدار التونسية، تونس، 1984، 9: 283.
12) ينظر: محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، المكتب التجاري، لا.ت، 77/3.
13) ينظر: إسماعيل بن كثير القرشي، تفسير ابن كثير، ط4، دار الأندلس، بيروت، 1984، 233/4.
14) ينظر: التحرير والتنوير، 142/9.
15) ينظر: الكشاف، 222/1.
16) عمر بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، ط2، تحق: علي أبو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1992، 20/1.
17) ينظر: دلالة الألفاظ، ط 1980، 251.

Copy from bulletin.zu.edu.ly

18) سور: هود116، الإسراء16، الأنبياء13، المؤمنـون33-64، سـبأ34، الزخـرف23، الواقعة45.
19) لسان العرب، ابن منظور، ط1، دار صادر، بيروت، 2000، مادة ترف.
20) ينظر: أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، تحق:محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة، القاهرة، 225، ولسان العرب، مادة: بطر.
21) أبو عبد الله محمد بن عبد الله الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، المكتبـة التوفيقيـة، لا.ت، ص35.

Copy from bulletin.7aprilu.edu.ly